

وإذا كان منطوق العقل السوى يقرر أن ما بين أيدينا من الشعر الجاهلي هو ابن
مرحلة سبقتها مراحل، فإن بعض شعراء الجاهلية أشار إلى ذلك في حديثه عن سبقهم
من الشعراء . مثل امرئ القيس في قوله :

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبيكي الديار كما بيكى ابن خدام^(١)

فابن خدام هذا شاعر سبق امرأ القيس في بكائه ووقوه . بيد أننا لانعرف شيئا
عن ابن خدام هذا أكثر من ذلك الذي جاء في بيت امرئ القيس ، قد يكون أول
من بيكى ، وقد يكون بمن تقدموا امرأ القيس إلى البكاء ، ولكنه ليس أولهم
ومثل زهير بن أبي سلمى في قوله :

ما أرابنا تقول إلا ممارا أو ممادا من قرلنا مكرورا

إذ يقرر أنه في قوله يحتذى سابقه ويكرر ما قالوا، ويستعير منهم . . لكن ما هذا
الذي استعاره ؟ ومن هم الشعراء الذين سبقوه إلى القول على هذا النمط ؟ وكيف كانوا
يقولون ؟ ومتى وأين كانوا ؟ وبم اتصل هؤلاء بأولئك ؟

لما نجد إجابة شافية على هذه التساؤلات ونحوها ، لأننا حتى يومنا هذا لم نستطع
أن نجتاز بالتنقيب هذا العصر إلى ماسبقه . وكل ما نصل إليه من ذلك هو أن زهيراً
يعترف بأنه سبق بشعراء عبيدين استقاموا على الطريقة ، وأنه ومعاصروه تتلمذوا على
هؤلاء السابقين المجيدين . وهذا يعني - بالتبع - أن سابق زهير المجيدين سبقواهم
أيضاً بمن تتلمذوا عليهم ، إذ لا يمكن في تصور الأطوار المعنية إلا أن يكون الأمر هكذا.
حتى اصل بالشعر إلى مرحلته الأولى .

ومثل ذلك قرره عنتر بن شداد العسفي في قوله :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم^(٢)

(١) عوجا : اعطفا روا حلجكا : على الطلل المحيل : الطلل الذي أنى عليه حول
فتغير ، لأننا - بفتح اللام - لعلنا . انظر ديوان امرئ القيس ص ١١٤ طبع دار
المعارف بعصر ، تحقيق محمد أبو الفضل .

(٢) المتردم : الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما عراه من الوهن . يقول : هل
ترك الشعراء موضعا مسترقعا إلا وقد رقعه وأصلحوه . يعني : لم يترك الشعراء السابقون
لنا شيئا نقول فيه قولا جديداً شرح الملاحظات السبع للزوزني ص ١٦٨ طبع صبيح بعصر .